مجلة آفاق سينمائية | عدد خاص: السينما والأوبئة | السنة: فيفري 2021 | ص – ص : 93–110

الالتزام في فيلم الطاعون للويس بوينزو

Commitment in The Plague of Luis Buenzo

سماعين محمد 1*

[1] جامعة الشلف ، الجزائر، m.semaine@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2020/12/15 تاريخ القبول: 2021/01/21 تاريخ النشر: 2021/02/17

ملخص:

أضحت الأوبئة تشكل خطرا محدقا يتربص بالمجتمعات البشرية وتهديدا حقيقيا للوجود الإنساني مما أوجب على الفنان السينمائي التفاعل الفني مع هذه الظاهرة بالتعريف بها و التحسيس بمخاطرها و تبيين أثارها و المساهمة في إيجاد سبل مواجهتها و فيلم الطاعون للويس بوينزو يذهب إلى ما هو ابعد من هذا و يعكس كيف يؤدي الوباء إلى إطلاق مشاعرهم و مواقفهم في الكفاح ضد الشدائد و البقاء على قيد الحياة، هذا الالتزام الجماعي هو وحده الكفيل للتغلب على هذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية:

الالتزام، المسؤولية، الوباء، الطاعون، جون بول سارتر، لويس بوينزو، ألبير كامي، الحجر الصحي، المصل، التكيف السينمائي.

* سماعين محمد m.semaine@univ-chlef.dz

1. مقدمة:

انحازت السينما منذ بدايتها إلى القضايا الإنسانية ، فصورت ألامها و أمالها وهواجسها ، فكانت منبرا لفكره وعقائده وأيديولوجيته المتباينة ، فكان الإنسان محور السينما لأنه مركز الكون ومصدر كل إبداع و غاية كل انجاز معرفي ، فكري وفني، هدفه استمرارية الحياة البشرية و المحافظة عليها من كل أخطار و تهديدات مهما كان مصدرها، مما شكل هاجسا على الوجود البشري وأشدها فتكا، الأوبئة بمختلف أنواعها ومصادرها، فالتاريخ الإنساني يعج بالمآسي التي سببتها الأوبئة التي قضت على ملايين البشر وأبادت أمما وشعوبا ، وما جائحة كورونا التي تجتاح العالم الآن إلا حلقة أخرى في سلسلة لا منتهية منه هده الأوبئة .

لذا كانت السينما سباقة في استشعار هذه الأوبئة و التحذير من خطورتها على العمران البشري، فأسهمت السينما العالمية بعدة أفلام وثائقية وروائية على غرار" فيلم أنفلونزا عام 1918 " إنتاج عام 1986 أو ما يسمى بالأنفلونزا الاسبانية التي اجتاحت العالم مخلفة 50 مليون ضحية ، كما سجلت السينما مجموعة كبيرة من الأفلام التسجيلية و التوثيقية حول عدة أوبئة على غرار " زيكا ، ايبولا ، كوليرا ، الطاعون و الملاريا " الأوبئة التي تحصد أرواح ملايين من البشر في كل أنحاء العالم إلى يومنا هذا .

حتى السينما العربية أسهمت في هذا المجهود السينمائي العالمي التحسيسي من الأوبئة فكان فيلم "صراع الأبطال " الذي عرض سنة 1962 للمخرج " توفيق صالح" حول وباء الكوليرا و سبقه فيلم "اليوم السادس" للمخرج العالمي يوسف شاهين إنتاج عام 1986 حول الوباء ذاته ، وكانت السينما ملتزمة اتجاه أخطار الأوبئة التي تهدد الإنسانية جمعاء، فالسينما الملتزمة هي التي تتمحور وفق خلفيات وإيديولوجيات فلسفية لاتخاذ موقف اتجاه ما يحدث أو ما يمكن حدوثه و من هذا المنطلق الفلسفي تكمن أهمية هذه الدراسة الموسومة " بالالتزام في الفيلم السينمائي فالطاعون la peste " للمخرج لويس بوينزو، وللإحاطة بهذه الدراسة قسمنا المقال إلى شق نظري حول ماهية الالتزام وفلسفته ومجالاته وشق تطبيقي حول أشكال الالتزام في فيلم الطاعون و قد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي و الهدف من هذه الدراسة التعرض لظاهرة الوباء في السينما فيلم الطاعون أنموذجا .

2. ماهية الإلتزام

1.2 معنى الإلتزام في اللغة:

الإلتزام : مصدر من الفعل (إلتزم) , وهذا الفعل مادة الفعل الثلاثي لزم على وزن (فعل) بكسر العين ، قال إبن منظور : " و الفعل لزم يلزم ، والفاعل : لازم ، والمفعول به : ملزوم لزم الشيء يلزمه لزما و لزوما، ولازمه ملازمة و لزاما و إلتزمه و ألزمه إياه فالتزمه ورجل لزمة : " يلزم الشيء فلا يفارقه "(1)

وجاء في القاموس المحيط : هو لزمة كهمزة أي: إذ ألزم شيئا لا يفارقه(2) " و أما الإلزام فإنه يفارق الإلتزام في المعنى، وهذا ما أشار إليه محمد مرتضى الزبيدي قائلا : "و الإلزام : التبكيت ، و اللازم : ما يمنع انفكاكه عن الشيء ، و الجمع : لوازم "(3) ، فصار أظهر معاني الإلتزام في اللغة : التعلق بالشيء و المداومة عليه و عدم مفارقته .. أما الالزام فقد يكون فيه مداومة على الشيء ، و عدم مفارقة له . ولكن بصحبة ذلك في الغالب إكراه و تبكيت ، ولهذا لا يكون لدى الشخص الملزم تعلق بما ألزم به ولا رغبة فيه.

2.2 معنى الإلتزام في الاصطلاح النقدي:

لقد وقع خلاف في تحديد معنى الإلتزام في الأدب لدى كثير من الأدباء و النقاد ولا سيما عند ذوي الميول الفكرية و الإتجاهات السياسية ، فذهب كل فريق إلى معنى الالتزام وفق فكرته و على هدي ثقافته فقد فسره الروائي الأمريكي المعاصر ثورمان مالر Thorman Maler فإنه نوع من التعاقد أو الإرتباط بشيء خارج الذات(4) ، و في مقابل هذا العموم والغموض في تحديد معنى الإلزام لدى (مالر) نرى معنى أقرب وضوحا وأكثر تحديدا وذلك لدي شاعر اسكتلندا هيوماكد يارميد Humea Yarmed المعروف بأرائه الشيوعية فقد ذهب إلى أن الإلتزام : هو الإلتزام السياسي و الجهاد في سبيله و تسخير الأدب للدعوة له "(5) فاصبح الإلتزام لديه ذا مضمون فكري و سياسي.

ويوضح غنيمي هلال المراد بالإلتزام قائلا : ويراد بالإلتزام الشاعر وجوبا مشاركته بالفكر والشعور و الفن في قضايا الوطنية و الإنسانية وفيما يعانون من ألام و ما يبنون من أمال . و غير خاف أن توضيح غنيمي هلال للالتزام يفتقر إلى مزيد من الدقة و التحديد .لقد كان للموسوعات و المعاجم دورا رائدا في تحديد معنى الإلتزام ، فقد جاء في موسوعة لاروس "ما يلي: " الملتزم : هو الذي يتخذ موقفا في النزاعات السياسية والإجتماعية ، معبرا عن إديولوجية طبقة ما، أو حزب أو نزعة(6) ، كما جاء فيها أن : " الإلتزام هو المشاركة في القضايا السياسية و الإجتماعية " وجاء في المعجم الأدبي تحت مصطلح (إلتزام) : أن الإلتزام هو : "حزم الأمر على الوقوف بجانب قضية سياسية أو إجتماعية أو فنية ، و الإنتقال من التأييد الداخلي إلى التعبير الخارجي مراجعة عن هذا الموقف بكل ما ينتجه الأديب أو الفنان من أثار. و تكون هذه الأثار محصلا لمعاناة صاحبها ولإحساسة العميق بواجب الكفاح و المشاركة الفعلية في تحقيق الغاية من الإلتزام(7) ، ويتبين من خلال ما تقدم أن معنى الإلتزام في الاصطلاح النقدي هو : أن يلتزم الفنان في أعماله الفنية عقيدة من العقائد أو مبدأ من المبادئ أو فلسفة من الفلسفات و يندرج فنه تبعا لذلك تحت إطار هذا الإلتزام مما يستوجب علية مراعاة حدوده وإمكانيات الحركة التي يبيحها له هذا الإلتزام.

3. فلسفة الإلتزام

1.3 الإلتزام في الفلسفة الوجودية:

يبني زعيم الوجوديين سارتر فلسفة الالتزام في الفن على مبدأ فلسفي و هو الوجود يسبق الماهية يترتب على هذا المبدأ عدة نتائج، تعد في حقيقته الحيثيات بدعوة الالتزام في الفن عند الوجوديين، و بلخص الدكتور عبد الرحمن بدوي هذه النتائج المرتبة على المبدئ السابق فيقول : " الإنسان يوجد أولا غير محدد بصفة ثم يلقى بنفسه في المستقبل و يشعر أنه يلقي بنفسه في المستقبل، و ذلك الإنفعال التي يؤديها ، و فإن الإنسان هو أولا: مشروع و تصميم يحي حياة ذاتية ، ولا شي يوجد قبل هذا المشروع ، بل الإنسان هو الذي يصمم مستقبله ،

ثم يحقق من هذ التصميم ما يستطيع "(8) ، فمادام الإنسان مشروعا و تصميما يضعه لنفسه فإنه بالضرورة مسؤول عما يكون عليه كل إنسان يحمل المسؤولية كاملة عن وجوده ، ولا تقتصر هذه المسؤولية عليه وحده، بوصفه فردا ، بل تمتد إلى الناس جميعا ، لأن القرار الذي يتخذه لنفسه يمس سائر بني الإنسان وبهذا يكشف عن النتيجة الأولى من نتائج هذه الفلسفة حيث يقول : " فالإنسان حينما يختار لنفسه فهو في الوقت نفسه يختار لسائر الناس ، ذلك لأنه باختياره هذا يرسم الإنسان كما يرى أن يكون ، إذ أن اختياره لهذا أو ذاك تأكيد في الوقت نفسه لقيمة ما يختاره "(9) ، لأننا لا نختار أبدا ما نؤمن أنه شر، إنما نختار دائما ما نعتقد أنه خير ولا شيئ يمكن أن يكون خيرا لنا ، دون أن يكون خيرا للآخرين أيضا فبتشكلينا لصورة أنفسنا نحن نشكل في الوقت عينه صورة الإنسان ، و هكذا نرى أن مسؤوليتنا أكبر بكثير جدا مما نظن، لأنها تلزم الإنسانية كلها و من هنا ندرك سر القلق و الخوف و الهذيان عند الوجوديين ، فمصدره عظم هذه المسؤولية كما يثبته دارسي هذه الفلسفة الوجودية بأن هذه المسؤولية البالغة الهائلة لأنها تمس الناس جميعا لا بد أن تثير في الإنسان القلق البالغ الهائل أيضا إذا كيف لا أكون مهموم كل الهم القرار الذي اتخذه و إن بدى في الظاهر أنه قرار الشخصي إنما هو قرار يمس جميع البشر أما النتيجة الثانية من نتائج هذه الفلسفة : بعد المسؤولية فهي الحرية فما دام الإنسان في بدا وجوده ليس شيئا ، و مادام هو الذي سيصمم نفسه ، فهو لا بد حر ، بل هو الحرية نفسها، أو كما يقول سارتر : " ووراء الدوافع و البواعث على فعل أني محكوم علي أن أكون حرا "(10) و إذا كان الإنسان مسؤولا عن أفعاله ، و حرا في تصرفاته التي تحقق وجوده ، فلا بد له أن يختار مشروعه الذي يلائمه و يشكل وجوده ، و لا مناص من الإختيار بما يستتبعه من مسؤولية وقلق ، بأن المرئ إذا أذاب وجوده في أنواع وجود غيره من الناس ، و كان سلبيا فإنه يلغي وجوده و إذا لم يتم له الإختيار : خلفه ركب الحياة مترددا ضالا ، و لهذا كان لا بد من

الإلتزام . و يعرف الإلتزام الوجودي في بانه تحديد الإنسان علاقته بالأخرين و باشياء على حسب ما يمنحه إياه من معنى، ولهذا يسمى الفكر الوجودي بأنه فكر الالتزام أو فكر المواقف ' وفيه يحدد الكاتب موقفه من مسائل عصره تحديدا تاما(11) إن الإنسان يوجه نفسه حتى يتحقق وجوده و هو يلتزم تجاه ذاته ، و إتجاه الآخرين و تنبه الفلسفة الوجودية إلى أن الإلتزام له اتجاهان ، إتجاه سلبي واتجاه إيجابي، والأول يتضح في الخضوع للإملاء الذي يفرضه آخرون على الذات فيحقق ذاته عن طريق المجموع و على ذلك فهو جبان lacheوسوف يفقد حريته في النهاية ويتحول من موجود لذاته إلي موجود في ذاته.

الوجود في ذاته l'etre pour soi

الوجود لذاته l'etre en soi

و الإتجاه الثاني التزام إيجابي ينتج عن الرفض لأية أحكام سابقة عليه أن نواجه الحياة بأنفسنا من غير معاونة خارجية رافضين لكل المثل الجاهزة .

وسارتر يرفض الوجودية الفردية المنعزلة لأنه مادامت الذات منغمسة في الموقف و ما دام وجود الأخرين يمثل المرأة التي يرى نفسه فيها ، فلا بد أن يجد الإنسان لنفسه دورا في إطار المجتمع وما دام هذا العصر هو عصر الثورات، الوجودية تستلزم المشاركة لا الإنغلاق و المفاهمة لا الإنعزال " فالإلتزام يقوم على تحديد علاقة الإنسان بالآخرين مع ملاحظة أن هذا التحديد تضمه مجموعة من القيود تقلل من مجال هذا الإختيار فالإنسان مثلا لايختار مولده ولا أسرته و لا بيته ، و لكن هناك إلتزام في موقف يتبعه إدراك واعي لكثير من القيم الإنسانية و الأجتماعية ثم يتجاوز هذا الموقف ليعمل على تغييره إلى ما هو أفضل.(12)

وخلاصة مضمون الإلتزام الوجودي : تأكيد ذاتية الفرد ، بتحديد موقفه من أحداث الحياة ، وعلاقته بالأخرين ، فيختار مشروعه الذي يلائمه ، و يتحمل المسؤولية ذلك الإختيار و يلتزم به في عزم و مضاء حتى يحقق وجوده الفردي ، فمدار الإلتزام الوجودي على ثلاث دعائم : الحرية و المسؤولية و الإلتزام .

2.3 نظرية الالتزام:

لقد حدد (سارتر) الخطوط العامة للالتزام فقال : " لا شك أن العمل االفني واقع اجتماعي ، وعلى المبدع –حتى قبل أن يتناول القلم – أن يكون على إقتناع به ، و حقا عليه أن تتخلل المسؤولية كل جوانب نفسه ، فهو مسؤول عن كل شيء : عن الحروب الكاسبة ، أو الخاسرة و عن صنوف، التمرد و انواع الردع ، و هو شريك الظالمين إذا لم يكن حليف طبيعي للمظلومين ، لا لأنه كاتب فحسب ، بل و لأنه إنسان ، و هذه المسؤولية عليه أن يحياها و أن يريدها : و بالنسبة له يجب أن تكون الحياة و الكتابة شيئا واحدا ، لا من أجل أن الفن إنقاذ للحياة ، و لكن لأن الحياة تعبير عن مشروعات و أختار هو الفن مشروعا له.(13) إننا قبل كل شيء ، لم نعد نقبل المسلمة القديمة التي تقول أن دور الفن ، أي مهمته هي خلق الجمال و أن يثير فينا إنفعالا خاصا : ففي الحقيقة يجب أن نتسائل عن دور الفن و نوضحه بواسطة تحليل تال ، و عن سبب الأثر الفني الذي هو مدخل لكل نقد جدي ، و الجواب هو أن الفن يشكل بعدا خاصا من أبعاد الوعي الإنساني الفردي والجماعي معا في علاقته ذات المعنى المزدوج مع العالم : إن الفنان هو الذي يذكر الآخرين بموضوع علاقته فيما بينهم و مع الأشياء.

يقول سارتر : " و عليه : أي الفنان أن يلتزم في الحاضر، فليس له أن يتنبأ المستقبل البعيد، و يمكن أن يحكم عليه بعد بمقتضاه ، ولكن عليه أن يتعلق بالمستقبل القريب أولا ، فأولا ...و ليخلق الحاجة إلى العدالة و الحرية و التضامن ."(14) لقد حاولنا الإحاطة بإيجاز بفلسفة الالتزام خاصة عند رائد الفلسفة الوجودية سارتر.

4. أشكال الالتزام في فيلم الطاعون :

يظهر الطاعون كيف يتم تعطيل حياة المدينة بعد إعلان وباء الطاعون. ومع ذلك ، فإن الفيلم يذهب إلى أبعد من هذا ويعكس كيف يمكن للكوارث والمصيبة إطلاق مشاعر الناس

ومواقفهم أفضل للنضال ضد الشدائد والبقاء على قيد الحياة وهو وضع يعتبرونه غير عادل. الشخصية الرئيسية، الدكتور ريو، لا يزال في المدينة لأن الفرار سيكون إلى الصحراء، وقال انه يشعر حقا بالحاجة إلى مكافحة مثل هذه الظروف المروعة الناجمة عن الطاعون الدبلي، وهو الطاعون قادرة على نفي الآمال و القضاء على حياة الناس الأبرياء. الخوف يطارد الشوارع ولكن فضلا عن الدكتور ريو هناك آخرون على استعداد للبقاء ومكافحة الرعب. الجهود المشتركة تمكن أخيرا من هزيمة الشر ، حيث يفرح الجميع. ومع ذلك، لا يزال الشك قائما بشأن ما إذا كان التهديد لا يزال قائما وربما يعود مرة أخرى إلى الظهور في وقت ما.

1.4 التفاصيل الفنية :

العنوان: الطاعون

العنوان الأصلي: la peste

البلد: الأرجنتين وفرنسا والمملكة المتحدة

السنة: 1992

إخراج : لويس بوينزو

الموسيقى : فانجيليس موسيقى تصويرية جنائزية

كاتب السيناريو : التكيف من قبل لويس بوينزو من رواية الطاعون لألبرت كامو.

الممثلون: ويليام هيرت، ساندرين بوناير، جان مارك بار، روبرت دوفال، راؤول جوليا، خورخي لوز، فيكتوريا تينانت، أتيليو فيرونيللي، فرانسيسكو كوكوزا، لورا بالموتشي، نورمان إرليش، ماركوس وينسكي، دوليو مارزيو، بانشو إيبانيز وهوراسيو فونتوفا.

وقت العرض : 104 دقيقة

النوع: دراما

شركة الإنتاج: شركة فرانشي فرانسيز سينيماتيريكي، شركة بيير برينس المحدودة وأوسكار كريمر س. أ. بالتعاون مع سينمانيا وبمشاركة قناة +.

2.4 الفيلم – قراءة تحليلية – :

1.2.4 بداية ظهور الوباء :

تبدأ المؤامرة أثناء عرض الاعتمادات. الطلقة الأولى تظهر مريض لاهث مستلقيا على سرير. ثم نرى الدكتور ريو (وليام هيرت)، الشخصية الرئيسية والراوي في الفيلم، وصياغة وقائع ما هو على وشك أن يحدث ، إنه يحضر للمريض و هو بواب المبنى الذي يعيش فيه.

أحداث الفيلم تجري في العقد الأخير من القرن العشرين في مدينة تسمى وهران ، مع خلفية أوروبية إليها ولكنها تقع في أمريكا الجنوبية.

في نهاية الحجوزات للسفر، اثنين من الشخصيات: جان تارو (جان مارك بار) مصور فرنسي، ومارتين رامبرت (ساندرين بوناير) ، وهو صحفي من نفس الجنسية ، كلاهما يعمل للتلفزيون الفرنسي ونحن نراهم في غرفة الفندق ، ثم يظهرون وهم يشقون طريقهم إلى المطار في سيارة يقودها كوتارد (راؤول جوليا)، وهو محلي كان يعتني بهم خلال فترة وجودهم في وهران.

في المطار ، أليس (فيكتوريا تينانت) ، وهي زوجة ريو ، هو أيضا على وشك اللحاق برحلة خارج المدينة لأنها تحتاج إلى الخضوع لبعض الاختبارات التي لا يمكن القيام بها في المدينة ، ومع ذلك يكتشف الصحفيون وأليس فجأة أن مقاعدهم قد بيعت ، زوجة الطبيب تتمكن أخيرا من الركوب على متن الطائرة ، مبررا هذا مع حاجتها إلى اختبار، لا أحد منهم يمكن أن يتصور أن هذه ستكون الرحلة الأخيرة من وهران لعدة أسابيع قادمة.

وقد قدم كوتارد، وهو أحد مرضى ريو، الفرنسيين إلى الطبيب، الذي يعرض عليهما إعادتهما إلى فندقهما ، و في طريقهم يستمعون إلى الراديو ، تقدم مقابلة غريبة جدا: فالصحفي يسأل أحد موظفي الصحة عن ظهور الجرذان الميتة في مكاتب مبنى إدارة الصحة العامة ، الذي يرد عليه ، كما يفعل بالطبع ، بأنه لا يوجد سبب للانزعاج.

الدكتور ريو لا يزال حائرا من مرض البواب. الخادم يزداد سوءاً فجأة، لذا قرر الطبيب استدعاء سيارة إسعاف لنقله إلى المستشفى. ولكن في الطريق يموت الرجل المريض وفي وقت لاحق، بمساعدة زميل له، الدكتور كاستل (نورمان إرليش)، يقوم بتشريح الجثة. عندما يتم فحص تحت المجهر بعض العينات المأخوذة من تشريح الجثة، يتم القبض عليه من قبل القاضي والشخص المسؤول عن الصحة العامة. ويُعاد النظر في هذه الوفيات على أنهم قد أُجريوا التشريح دون إذن. في مواجهة هذا الواقعة ، يقولون أن ما هو أكثر أهمية هو أنه لم يتم إخبارهم عن ظهور المرض. ويقول لهم المسؤول الصحي إن هناك حالات قليلة فقط من حمى التيفوئيد، مصحوبة بحمى الأدنوت والقيء، وأن عينات قد أرسلت بالفعل إلى العاصمة لتحليلها. الدكتور ريو يطلب منه أن ينظر إلى أسفل المجهر وعندها يرفض الضابط و يوبخه ، يصبح القاضي مهتمًا بالمحادثة ويسأل عن الأمراض التي يتحدثون عنها ، ريو يقول له أن الفئران والكونسيرج يموتون لنفس الأسباب، ولكن مسؤول الصحة يرفض تصديق تشخيصه.

2.2.4 بداية تفشي الوباء :

بينما الصحفيان في الفندق ، يلفت فجأة انتباههم ما يذاع في التلفاز ، حيث تُطلع النشرة الجمهور على عقد اجتماع طارئ بين الحاكم والسلطات العسكرية بسبب الشواغل الصحية. يطلع الطبيبان (على الشاشة)، ولدهشتهما ان احد المصابين قد التقيا به في المطار، ويوضح الأطباء أن الفئران تخرج للهروب من البراغيث ، والتي لا تستطيع تحمل ضوء النهار، ولكن كما يقولون، لا يكمن المشكل في الفئران الميتة ولكن في الملايين من

البراغيث التي تبحث عن ضحايا جدد. والبراغيث مريضة أيضا ، لأن المسالك الهضمية مسدودة بالعصية والجوع يدفعهم إلى الجنون.

وقد اعلن رسمياً وباء الطاعون وتعلن حالة الطوارئ في المدينة. على الرغم من أن الوضعية الصحية مثيرة للشكوك ، يقرر الدكتور ريو، مثل العديد من الآخرين، مغادرة المدينة للانضمام إلى زوجته.

على الطريق خارج المدينة، يرافقه مارتين –الذي سوف تفعل أي شيء في هذا الوقت للخروج من المدينة ، إلا أنه يغير رأيه و يقرر أن يبقى في المدينة ، لشعوره بوَاجبه العلمي و الأخلاقي ، هذه القدرة على التضحية هي واحدة من السمات البازرة للشخصية الرئيسية.

3.2.4 التزام ريو لمواجهة الوباء :

ويكرس ريو كل وقته في السعي بلا كلل للسيطرة على الوباء ، في أحد المنازل يفحص فتاة وعلى الرغم من معارضة الأم ، يقرر استدعاء سيارة إسعاف لنقلها إلى المستشفى. في مكان قريب، مجموعة كبيرة من الناس يلتفون حول كاهن يوهمهم بقوله أنه يمكن أن يتنبأ بما يحدث لهم في المستقبل بسبب الوباء ، سيكون هناك المزيد من الناس مثله الذين سيحاولون الاستفادة من الخوف ، في الوقت نفسه، يصل امبو لانس ويتم إخراج الفتاة وسط فوضى عارمة ، عامل العلامات يضع على باب منزل الفتاة المريضة علامة "X" حمراء كبيرة.

الدكتور ريو يتلقى مفاجأة ، بوصول والدته. لقد جاءت لقضاء عيد الميلاد معه. ويمنع الحصار الناس من مغادرة المدينة ولكن ليس من الدخول إليها ، تجلب زوجة اليس معها نتائج المسح الضوئي ، يدرك اليس أن زوجته تحتضر ، خلال هذه الأيام الأولى من الوباء، يتطوع المصور الفرنسي في المستشفى الذي يديره ريو و الطبيب ، بعد إعطائه قناع المناسب ، ويجعله يرى مدى صعوبة العمل ، وخلفهم يمكن رؤية العاملين يبخرون سطح

قارب. وهم يواجهون موكبا من المؤمنين الذين يحملون قديسة للصلاة لكي ينتهي الوباء ، ومن الواضح أنه بالنسبة للسكان الخائفين، فإن أي أمل يمكنهم استيعابه أمر جيد.

عشية عيد الميلاد يتم رفع حظر التجول للسماح بالاحتفال ، يلتقي الطبيب والصحفيون لتناول العشاء، مثل العديد من الناس الآخرين، في مكان كبير حيث يرقص الزوجان رقصة التانغو. يتحدث الطبيب مع القاضي ويعلق كلاهما على أن 300 شخص لقوا حتفهم في ذلك الأسبوع، معظمهم من الطاعون، ولكن بعضهم من طلقات نارية تلقوها عند محاولة نهب المباني أو لجرائم أخرى.

بعد ذلك بوقت قصير المشهد هو كنيسة كاملة من المؤمنين، الذين ذهبوا إلى هناك في يأسهم– نشوئهم. لكنهم لا يجدون أي عزاء في الأب بنوكو (لاوتارو موروا)، الذي يعطيهم سيرًا رجعيًا ، يشير فيه إلى الطاعون كتصميم إلهي ، وطريقة للوصول إلى الأبدية. عندما ينتهي الأمر، ينتقده الدكتور ريو بقسوة ويفسر افتقاره إلى الإيمان ، إذا كان يؤمن بالله القدير، فإنه سيتوقف عن ممارسة الطب.

الطبيب وجان يذهبون إلى الملعب، المكان الذي يتم فيه أخذ أولئك الذين يجب وضعهم في الحجر الصحي، وهم يرون الظروف المؤسفة للمحتجزين، وعلاوة على ذلك ، فإن ريو يعرف أن هناك إدارة سيئة؛ ولكن لا يمكن أن يكون هناك أي شيء ، أم الفتاة التي أخذت إلى المشفى لا تزال في الحجر الصحي بعد شهر. يتحدثون عن هذا مع مسؤول الصحة و يوبخونه على الوضع ، و الحقيقة هي أن عدد الأسر التي تتعرض للعزلة يتزايد هندسياً ، ويذكره الطبيب بأنه على الرغم من أنه هو الذي نصح بالعزلة، إلا أنه نصحها في المنزل ، وهو يغادر ساخطاً للغاية بعد أن تمكن من إخراج المرأة من الحجر الصحي، مؤكداً أنه من الواضح أن الوضع قد استغل لإسكات المواطنين في أكثر الأماكن تنوعاً.

الأب Paneloux عروض لتشغيل وحدة الحجر الصحي في فندق. الدكتور كاستل، الذي طور مصل مضاد للطاعون، يريد تجربته. غراند، موظف مكتب الإحصاء والتعداد، وهو

صديق لريو، يصبح مريضاً ويُؤخذ إلى المستشفى. عندما تسمع مارتين الأخبار، تذهب للاعتناء به وتنتهي بالعمل التطوعي، على الرغم من معارضة الطبيب.

فيليبي (برونو شليك)، ابن القاضي، وهو صبي تعلم الغناء من قبل زوجة ريو وأمه ويغني في الكنيسة، يصبح مريضا ، يطلب الطبيب من الأب الإذن لمنحه المصل المطور من قبل الدكتور كاستل والأب يوافق. يعطونه له مع نقل الدم ، ولكن الصبي لا تتحسن حالته ، لديه حمى، يتنفس بصعوبة، وبعد صرخة كبيرة من الألم، يوشك على الموت، وسط يأس الحاضرين، وخاصة الدكتور ريو، الذي لا يمكن أن يفهم هذا العدد من الموتى من الأبرياء ، وهذه هي الفترة الأكثر حرجا بالنسبة للطبيب، حيث أنه يتلقى أيضا أنباء عن وفاة زوجته.

4.2.4 بداية بداية السيطرة على الوباء :

يعلن التلفزيون أن الوباء تحت السيطرة ، يتم تلقي الأخبار بفرح من قبل السكان ، وبالرغم من ذلك ، ستظل المدينة معزولة لمدة اسبوعين اخرين ، وسوف تستمر اجراءات الحجر لمدة شهر اخر . ولكن جان ليس سعيداً ، لأنه يعتقد أن كل شيء سيبدأ من جديد بعد مرور الوقت.حيث يلتقي مع كوتارد ، الذي يقر أن أحدا لم يتعلم شيئا من الطاعون ، ولكن سوف يستمرون جميعاً في العيش تحت نفس القواعد.

في اليوم التالي يستيقظ جان مع الحمى والعطش ، ومع أعراض أخرى من الطاعون ، على الرغم من هذا، ريو يعالجه في المنزل ويعطيه المصل. وفي الأسبوعين المقبلين يفقد الوباء قوته. جراند يتعافى. الناس يحشدون إلى الملعب وينجحون في إطلاق سراح المحتجزين هناك ، كما يتم تحرير مارتين ويحضره جراند، الذي يتناول روايته مرة أخرى. جين يتعافى بسرعة وبأعجوبة.فجأة، تسمع طلقات نارية بالقرب من الملعب ، الجاني هو كوتارد، الذي يقول أنه ملاك الطاعون ويطلق النار على أي شخص داخل نطاق الرماية. حيث يعتقد أن لا أحد تعلم أي شيء من الوباء ، الدكتور ريو وجان في محاولة لتهدئة كوتارد يصاب جان

في الصدر ، ريو لا يستطيع فعل شيء ويخبر المصاب بهذا يتم نقل جان المحتضر إلى سيارة الإسعاف ، كوتارد يعتقل في الأخير من قبل الشرطة.

الفيلم ينتهي كما بدأ. وقد كتب الدكتور ريو ذكرياته للتو عن الطاعون الدبلي أنه هو نفسه شهدت في مدينة وهران و أن السعادة العامة سوف تكون مهددة دائماً؛ لان الطاعون لا يموت أو يختفي أبدا.

المشهد الأخير يظهر اقتباسا من عمل كامو... وسيأتي يوم و يعود الطاعون من جديد ان لم نواجهه بالتزامنا السياسي و الاجتماعي .

5.2.4 بداية مقارنة بين الفيلم ومصدره الأدبي :

الفيلم هو اقتباس لرواية الطاعون، وهي رواية نشرها ألبرت كامو في عام 1947.ومن المفارقة أن تدور احداث رواية كامو في مدينة وهران في بلده الجزائر، تحت الحكم الفرنسي، في حين لويس Puenzo، حافظ على اسم المدينة، لكن في بلد في أمريكا الجنوبية الأرجنتين تحديدا هل هو بوينس آيرس حيث ولد؟ مما لا شك فيه أن هذه هي الأكثر المدن أوروبية في أمريكا الجنوبية.

تحيين الزمن السينمائي للفيلم حيث لا يحدث الوباء في الأربعينات كما في الرواية بل في التسعينات ، و هذا يعني أن علاج الطاعون لم يكن نهائيا، فهو يعاود الانتشار مرة اخرى إذا تجاوزنا الإشارات الزمانية وأخذنا كأساس للأفكار التي اقترحتها قراءة الرواية، فإن الفيلم، على الرغم من أنه يحافظ على الخطوط العامة للقصة، يفقد القوة والرمزية التي عكسها كامو في عمله.

العامل المشترك بين الفيلم و الرواية هو الالتزام الوجودي اعتراف بشجاعة البشر في مواجهة الكوارث ، الطاعون هو رمز للحياة البشرية نفسها وفي كل من واحد والآخر في أي لحظة ، يمكن أن يصاب بمرض مصيري ، مثل العبث ومع ذلك تم الحفاظ على جوانب أخرى من الرواية ، كما هو الحال بالنسبة للتشاؤم الوجودي لكامو ، الطاعون هو رمز للنازية والموقف

والعجز في مواجهتها، كان بوسع بونزو أن يختار هذا العمل ليتكيف مع السينما بالنظر إلى الحالة التي خرجت منها بلاده للتو، وعندما يذهب الناس للافراج عن المحتجزين في الملعب الذي لم تفرج عنه السلطات رغم انتهاء الوباء، فإنهم يهينون السلطات ويهتفون "الحرية، الحرية!...".

6.2.4 التكييف السنيمائي للرواية :

أن موضوع الفيلم هو الطاعون ، الطبيب هو الشخصية الرئيسية ، والصحة المرجع مستمرة طوال العمل اي الفيلم .

زوجة ريو يجب أن تذهب إلى العاصمة لإجراء اختبار طبي لا يمكن إجراؤه في وهران، وهو فحص للدماغ ، في زمن كامو، لم تكن الماسحات الضوئية موجودة.

وجود عدد كبير من الفئران، الميتة يجعل السلطات الصحية تشك في أن الشيء غريب يجري ولا حاجة الفطنة و الخبرة الطبية لربط وجود علاقة واضحة بين الفئران و وباء الطاعون.

دكتور ريو وكاستل، بعد ممارسة التشريح الأول من أجل معرفة المسببات والتحدث عن العقدة اللمفاوية واستخدام المجهر لمراقبة العينات، و قد شوهد هذا الجهاز وفي تشريح الجثة على الشاشة، على سبيل المثال في الذعر في الشوارع (1950) من قبل إيليا كازان.الحذر أمر أساسي في السلطات الصحية ، وينبغي أبدا أن دق ناقوس الخطر لا ينبغي أن يكون بلا داع ، ولكن المواطنين لديهم الحق في أن يكونوا على علم.

موقف مسؤول الصحة هو مثال على ما لا ينبغي أن يتم أبدا ، وحتى أقل من ذلك في العلاقات بين المهنة و هو يحاول تهدئة الوضع بالقول إن الحالات ليست سوى حمى التيفوئيد مع اعتلالات الغدة الدرقية والقيء.

ريو وكاستل يبلغان الصحفيين عن الطرق التي يتم بها نقل الطاعون. البراغيث على الفئران نقله من الفئران المصابة إلى صحية. عندما يموت الجرذ ، تبحث البراغيث عن مضيف جديد ليتغذى منه ، والذي يمكن أن يكون إنسانًا جيدًا تمامًا ، و تصيبه الطفرة المحتملة للعوامل المسببة للأمراض المذكورة ، يمكن لكل من الفيروسات والبكتيريا الخضوع لتعديلات في الجينوم و بالتالي تمكنه من خداع الجهاز المناعي .

عندما أعلن رسميا أن هناك وباء من الطاعون الدبلي، وهناك العديد من ردود الافعال ، أحد هذه التدابير هو وضع سلسلة من التدابير الوقائية مثل إغلاق المدينة لمنع المرض من الانتقال إلى أماكن أخرى ، و يظهر العاملون في محاولة منهم لوضع حد للمصادر المحتملة للعدوى ، المنازل التي عاش فيها المصابون تحمل علامة "x" حمراء ، وتجمع أولئك الذين كانوا على اتصال مع الناس المصابين تخصيص ملعب للحجر الصحي. ويستخدم العاملون الصحيون الأقنعة والقفازات أحياناً من أجل مزيد من السلامة ، هذا القناع يمكن أن تكون مفيدة لتجنب العدوى من الطاعون الرئوي، يتم حفر القبور المشتركة لدفن الموتى بسرعة وبالتالي منع الجثث من أن تصبح مصدرا للعدوى ، الموانئ هي الأكثر اشتباها إلى وجود وباء الطاعون من خلال جلبه في القوارب – عن طريق الفئران – هذه هي البيئة التي لوحظت في الفيلم في وهران .

تنعكس الأعراض السريرية للطاعون: بداية الحمى والصداع والرعشة والضعف العام وظهور بقع في الفخذ وتحت الإبط والرقبة.

الدكتور كاستل يخلق مصل جديد لمحاربة الوباء وهو "العلاج" الوحيد المذكور ، حيث لا يتم التعليق على استخدام المضادات الحيوية على الإطلاق. كما يظهر المصل المضاد للطاعون في أفلام أخرى .

الدكتور ريو يظهر العديد من الفضائل التي ينبغي أن يتحلى بها الطبيب الجيد وعلاوة على ذلك، وقال ان المرض هو عدوه الطبيعي.

الفيلم، بجوانبه الجيدة والسيئة، يحاول نقل ما سيكون عليه الوضع الحقيقي في مدينة أعلن فيها وباء الطاعون. وبصرف النظر عن أي رمزية ، وهو فيلم يظهر فيه الطب في كل مشهد تقريبًا ويعمل كأساس للقصة بأكملها.

ونظرا للوقت الذي تم فيه إعداد الفيلم، كان بإمكان لويس بوينتزو أن يستبدل الطاعون في رواية كامو بأي من الآفات القاتلة الجديدة التي واجهها الطب في السنوات الأخيرة من القرن العشرين .

خاتمة:

يصنف فيلم الطاعون للويس بوينزو ضمن سينما الواقعية السحرية في أمريكا اللاتينية أو السينما السياسية ، فالطاعون يحمل دلالات عديدة طبيعية و اجتماعية و سياسية ، و قد توصلنا في هذه الدراسة إلى النتائج التالية :

- الالتزام هو فكر و فلسفة و موقف .
- ركائز الالتزام : الحرية ، المسؤولية و الاختيار .
- فيلم الطاعون اقتباس من رواية الطاعون لالبير كامي .
- فيلم الطاعون يحمل رسائل وجودية هامة كيف نواجه الوباء ؟ ما موقفنا اتجاه الجماعة ؟
- لا يمكن مواجهة ظاهرة الوباء بانفرادية و انعزالية بل باتحاد وتضامن جماعي .
- العلم هو المخرج الوحيد للعالم من كل الأزمات و الظواهر و هذا ما أثبته بطل الفيلم و الشخصية الرئيسية " الطبيب "
- الطاعون يحمل دلالة حسية طبيعية "وباء " و دلالة بيانية رمزية : الجهل ، الظلم التسلط .

5. قائمة المراجع :

(1) ابن منظور لسان العرب المحيط ، قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي دار لسان العرب – بيروت ، المجلد الثالث ، إعداد و تصنيف : يوسف خياط . نديم مرعشلي مادة لزم : من القاف إلى الياء ص362 .

(2) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، الجزء الرابع مادة لزم ، فصل اللام ، باب الميم ، ص 177 .

(3) حمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، المجلد التاسع ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ببيروت لبنان – دت – ص 59 .

(4) ناصر بن عبد الرحمان الخنين ، الإلتزام الإسلامي في الشعر : ، مؤسسة دار الأصالة للثقافة و الإعلام – الرياض المملكة العربية السعودية ، ط1 1987 ، ص 26 .

(5) المرجع نفسه ص 26 .

(6) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة بيروت ط1 ،1982، ص 484 .

(7) أحمد أبو حاقة ، الإلتزام في الشعر العربي،دار العلم للملايين.ط1، 1979،ص13

(8) المرجع نفسه ص 13.

(9) جبور عبد النور، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، ط1 ،1979 ، ص 31 .

(10) دراسات في الفلسفة الوجودية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ط1 ، 1980 ص 262 .

(11) المرجع نفسه ، ص 262 ، 263

(12) ناصر بن عبد الرحمان ، الالتزام الإسلامي في الشعر ص 80

(13) محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، دار العودة بيروت ط1 ، 1983 ص 407.

(14) رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، منشأة المعارف الإسكندرية 1986 ، ص 145.